

المؤتمر الدولي الثامن عشر للوحدة الإسلامية

التكفير في ميزان القرآن والسنة أ. شيخ تاج الدين الهلالي مفتي أستراليا ان شهادة التوحيد كانت و مازالت هي الفيصل بين الايمان والكفر، فعندما يشهد العبد □ بالوحدانية ويشهد لمحمد(ص) بالرسالة، فانه يكون من أتباع دين الاسلام، وبقية أركان الايمان انما هي متفرعة من هذين الاصلين. ولقد استحدث المسلمون أصولا وقواعد وتفريعات، بنوا عليها أصول مذاهبيهم، وفرقهم تحكم بها على إسلام وإيمان من اعتقدها ودان بها، وتشهر سيف التكفير والاخراج من ملة الاسلام لمن خالفها. والغريب أن الحكم بتكفير المسلم يعتمد على علم أسموه علم التوحيد فنجد لكل فرقة أو طائفة أو جماعة توحيدا خاصا بها، ولو أن المسلمين اكتفوا بالتوحيد النبوي الحنيف المتخلق بأخلاق القرآن الكريم دون فلسفات يونانية، او هرطقات عقلية، أو جدليات كلامية، لما وصل حالهم الى ما صار اليه. الاحكام المترتبة على تفكير المسلم ان الجرأة على تكفير المسلم كفرا يخرج من الملة يترتب عليه ما يلي: 1 - قطعاً انه مطرود من رحمة □. 2 - وانه مخلد في النار. 3 - وجوب التفريق بينه وبين زوجه اذ أن المسلمة يحرم عليها أن تبقى في عصمة كافر بالاتفاق. 4 - وأن أبناءه بعد كفره هم أبناء سفاح لبطلان العصمة الزوجية. 5 - خروج الأولاد عن ولايته فلا ولاية لكافر. 6 - استحلال دمه. 7 - محاكمته أمام القضاء الاسلامي لاستتابته أو اقامة حكم الردة عليه. 8 - امتناع التوارث بينه وبين أقاربه فلا يرث ولا يورث. 9 - اذا مات لا يغسل ولا يصلى عليه. 10 - لا يدفن في مقابر المسلمين. 11 - انه فقد الولاية والنصرة من المجتمع الاسلامي، فتجب مقاطعته. 12 - لا يدعى له بالرحمة ولا يستغفر له. فالكفر حق □ ورسوله، فلا كافر الا من كفره □ ورسوله. أقسام الكفر: كما أن الايمان له شعب ودرجات، فان الكفر أيضا له شعب وأقسام. فالكفر قسمان: الكفر الأكبر: الذي يخرج من الملة، وهو الذي يوجب الخلود في النار - والعياذ با □ - قال تعالى: (تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّنْ كَلَّمَ اللّٰهَ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْكِتَابَ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللّٰهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَٰكِنَّ الْإِنسَانَ كَفَّارٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِرُوحِ الْقُدُسِ وَمِنَ الْكُفْرَانِ وَمِنَ الْكُفْرَانِ مَا اقْتَتَلُوا وَلَٰكِنَّ الْإِنسَانَ كَفَّارٌ) (البقرة: 253) (اللّٰهُ وَلِيُّ الَّذِيْنَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِيْنَ كَفَرُوا أَوْلِيَآؤُهُمُ الظُّلُمَاتُ يُخْرِجُونَهُمْ

مِنَ النَّارِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (البقرة: 257) (إِنَّ السَّادِّينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ) (البينة: 6). وهذا الكفر خمسة أقسام: 1 - كفر التكذيب: اعتقاد كذب الرسل. 2 - كفر الإباء والإستكبار: كفر إبليس. 3 - كفر الإعراض: بأن يعرض بسمعه و قلبه عن الرسول (ص) فلا يصدقه ولا يكذبه ولا يواليه ولا يعاديه. 4 - كفر الشك: بأن لا يجزم بصدق الرسول (ص) ولا يكذبه بل يشك في أمره. 5 - كفر النفاق: وهو أن يظهر بلسانه الايمان. ويسر الكفر في قلبه (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ) (البقرة: 8) القسم الثاني الكفر الأصغر: وهو كفر دون كفر موجب لاستحقاق الوعيد دون الخلود في النار ويتناول جميع المعاصي والكبائر دون الشرك بالله لان الطاعات تسمى ايماننا. والمعاصي تسمى كفرا قال تعالى: (إِنَّمَا هَدَىٰ ذُنُوبَهُ السَّبِيلَ إِلَىٰ مَسَّاكِينٍ وَإِلَىٰ مَسَاكِينٍ كَفُورًا) (الانسان: 3) (وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ) (لقمان: 12) (وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) (النحل: 18). ان كلمة التوحيد من أعظم ما يكرم الله تعالى به العبد وقد وردت نصوص نبوية تؤكد أن من قال لا اله الا الله خالصا من قلبه دخل الجنة، بالاقرار بها ثقلت موازين العبد وطاشت السجلات التسعة والتسعون فلا يثقل مع اسم الله شيء. نصوص نبوية يرد فيها لفظ الكفر ويراد به الكفر الأصغر: وقد وردت نصوص نبوية للوعيد والترهيب والنهي عن بعض المعاصي، ولكن يراد بها الكفر الاصغر ومن ذلك: 1 - البخاري: ان رسول الله (ص) قال: لا ترغبوا عن آبائكم فمن رغب عن أبيه (أي وهو يعلم) فهو كافر. 2 - وقال: ليس من رجل ادعى لغير أبيه وهو يعلمه الا كافر. 3 - قال النووي: ان ذلك في حق من استحله، أو أنه كفر النعمة والاحسان. 4 - حديث النساء: أنهن يكفرن العشير. 5 - حديث: من حلف بغير الله فقد أشرك. 6 - لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض. 7 - سباب المسلم فسوق وقتاله كفر. بدليل قوله تعالى: (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا) (الحجرات: 9) فقد سماهما الله مؤمنين. 8 - اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار، قالوا هذا في حق من يستحله. 9 - اثنان في الناس هما بهما كفر: الطعن في النسب والنياحة على الميت. أي هما من أعمال الكفر، وهما موجودتان في الناس كقولها (ص) لأبي ذر: - عندما قال لبلال: رضي الله عنهما يا ابن السوداء - (انك امرؤ فيك جاهلية). 10 - ليس منا من أستبرأ من بول. 11- من غشنا فليس منا. 12 - ليس منا من دعا الى عصبية.. الحديث. 13 -

بِالْعَدْلِ وَأَقْسَطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسَطِينَ (الحجرات:9) ولو كانت
كفرا لما خاطب [] (خاطب بن أبي بلتع) بلفظ المؤمن على ما بدر منه يوم الفتح (يَا
أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ)
(المتحنة:1) ولو كانت كفرا لما أمر [] بالعفو والصفح عن أولئك الذين قذفوا أم
المؤمنين عائشة - رضي [] عنها - في حادثة الافك. فقال تعالى: (وَلَا يَأْتَلِ أُولُو
الْإِثْمِ الصَّلَ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْذُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ
وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا أَلَا تُوْنُونَ
أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (النور:22) ولو كانت المعاصي
كفرا: لما نهى رسول [] (ص) عن لعن المدمن على شرب الخمر، في قصة الرجل الذي كان يلقب
(حمارا) وكان يضحك رسول [] (ص)، فلما أتى به يترنج وقد شرب قال رجل من القوم: اللهم
العنه ما أكثر ما يؤتي به. فقال(ص): (لا تلعنوه فوا [] ما علمت الا انه يحب []
ورسوله)(رواه البخاري). اذ مثل هذا المبتلى المدمن يحتاج الى من يعينه على شيطانه ولا
يعين شيطانه عليه. بدعة التكفير ترجع الى الخوارج ان الذين يكفرون المسلمين بالشبهات
انما يسرون على خطى الخوارج الذين ظهروا في جيش علي (رض) بعد معركة صفين، وبعد قبوله
التحكيم الذي انتهى الى عزله وتثبيت معاوية، فخرج الخوارج على علي، واعتبروا التحكيم
كفرا، وكفروا عليا الذي افتدى رسول [] بنفسه وبات في فراشه ليلة الهجرة، وكفروا كل
المسلمين الذين قبلوا بالتحكيم. ثم تبادوا فكفروا كل المسلمين الذين لا يتبعون رأيهم،
وكفروا كل من يرتكب ذنبا، ولم يفرقوا بين ذنب وذنوب، واعتبروا الخطأ في الرأي ذنبا
يخرج من الاسلام اذا خالف وجه الصواب في نظرهم، واعتبروا مخالفهم في الرأي مشركين
مخلدين في النار، يحل قتلهم، كما اعتبروا دار مخالفهم دار حرب، واستباحوا قتل نساءهم
وأطفالهم، وقتلوا المسلمين وفيهم أصحاب رسول [] (ص) كالصحابي (عبدا [] بن خباب بن الأرت
التيمي) الذي لقيهم وفي عنقه مصحف، ومعه امرأته وهي حامل. فقالوا: ان الذين في عنقك
ليأمرنا أن نقتلك، فما تقول في أبي بكر وعمر؟ فأثنى خيرا. قالوا: فما تقول في علي قبل
التحكيم وفي عثمان في ست سنين (أي السنين الأولى لخلافته) فأثنى خيرا. قالوا: فما تقول
في التحكيم؟ قال: أقول: عليا أعلم بكتاب [] منكم، وأشد على دينه، وأنفذ بصيرة. قالوا:
انك لست تتبع الرجال على أسمائهم، ثم قريوه الى شاطيء النهر فذبحوه وذبحوا زوجته..
وساموا رجلا نصرانيا بتمر نخلة، فقال: هي لكم. فقالوا وا [] ما كنا لناخذها الا بثمان. قال:
ما أعجب هذا أتقتلون مثل عبدا [] ابن خباب ولا تقبلوا منا تمر نخلة!! ولقد جادلهم الامام
علي (ع) وأثبت لهم خطأ معتقداتهم وأقام عليهم الحجة من فعل رسول [] (ص)، فقال لهم: ان
أبيتم الا ان تزعموا اني اخطأت وضللت، فلم تقتلوا عامة أمة محمد (ص)، وتأخذونهم بخطئي،

هذه الظارة من التناول حدا لم يبلغه (الاوكليروس) في العصور الوسطى، يومئذ كان رجال الكهنوت يبيعون الجنة لمن أيدهم ويحرمونها عل من خالفهم بصكوك الغفران. ولقد نصب هؤلاء انفسهم قضاة على الناس دونما التزام لأبسط الحدود والقيود الشرعية. ودونما التفات لما كان عليه سلوك السلف الصالح من قضية التكفير. فتأمل ما ورد عن صاحب الشريعة الحنيفية السمحة يبين خطر تكفير المسلم أو رمية باللعن والزندقة. 1 - ما رواه البخاري ومسلم وغيرهما. قال (ص) (إذا قال الرجل لآخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما، فإن كان كما قال: والا رجعت عليه). 2 - قوله(ص): (ما كفر رجل رجلا الا بآء أحدهما بها، ان كان كافرا، والا كفر بتكفيره) (ابن حبان في صحيحه). 3 - ... ولعن المؤمن كقتله، ومن رمى مؤمناً بكفر فهو كقتله، ومن ذبح نفسه بشيء عذب به يوم القيامة (متفق عليه). جاء في هامش الترغيب والترهيب تعليقا على الحديث: أي نسب اليه الخروج عن الاسلام فذنبه على ذلك مثل اعدام روحه وازهاقها. 4 - البخاري ومسلم: عن المقداد بن الاسود قال: قلت يا رسول الله رأيت إني لقيت رجلا من الكفار فاقتلنا ففرضت يدي بالسيف فقطعها، ثم لاذ مني بشجرة، فقال أسلمت الله. أأقتله يا رسول الله بعد أن قالها؟ قال(ص) لا تقتله. فقلت يا رسول الله قطع إحدى يدي ثم قال ذلك بعدما قطعها. فقال: لا تقتله فإنه بمنزلك قبل أن تقتله وانك بمنزلكه قبل أن يقول كلمته التي قال. 5 - روى البخاري ومسلم : عن أسامة بن زيد - رضي الله عنهما - قال: بعثنا رسول الله (ص) الى الحرقة من جهينة. فصبحنا القوم على مياهم ولحق أنا ورجل من الانصار رجلا من جهينة. فلما غشنا وقال: لا اله الا الله فكف الانصار عنه. وطعنته برمحي حتى قتلته. فلما قدمنا المدينة بلغ ذلك رسول الله(ص) فقال: يا أسامة أقتلته بعدما قال: لا اله الا الله؟ قلت يا رسول الله: انما كان متعوذا. فقال: أقتلته بعد ما قال لا اله الا الله. فما زال يكررها حتى تمنيت اني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم. وفي رواية قال له (ص): أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها صدقا أم لا؟). 6 - عن (جندب بن عبد الله) قال: قال رسول الله (ص): قال رجل: والله لا يغفر الله لفلان. فقال الله عزوجل: من ذا الذي يتألى علي أن لا اغفر لفلان؟ اني غفرت له وأحببت عملك (رواه البخاري). 7 - أخرج (ابو داود) في باب النهي عن البغي: أن رسول الله (ص) قال: كان رجلا في بني إسرائيل متآخين، فكان أحدهما يذنب والاخر مجتهد في العبادة. فكان المجتهد يرى الاخر على ذنب فيقول له أقصر، فوجده يوما على ذنب. فقال له: أقصر. فقال العاصي: خلّني وربّي أبعثت عليّ رقيبا؟ فقال له: والله لا يغفر الله لك (أو لا يدخلك الجنة). فقبض الله روحهما فاجتمعا عند رب العالمين، فقال لهذا المجتهد: أكنت بي عليما، أو كنت على ما في يدي قادرا، ثم قال للمذنب: اذهب فادخل الجنة برحمتي، وقال للاخر: اذهبوا به الى النار. ولقد كانت القاعدة لدى علماء الامة في سلفها الصالح على مر التاريخ ما قاله أحدهم: لو كان عندنا مائة قول في المسألة: تسع و

تسعون منها ترى تكفير المسلم في مسألة من المسائل وقول واحد لا يرى التكفير لآخذنا بهذا القول احتياطاً وتحسيناً للظن بما يقول : (لا اله الا الله). فخيرني بربك اذا كان هؤلاء يرون كفر الامام (ابن تيمية) و(الذهبي) وعلماء الأمة المجاهدين أمثال (سيد قطب) و(المودودي) وعلماء الحركة الاسلامية، وأئمة الحرمين الشريفين، ولا يأتمون بهم أثناء حجهم . ومن يرى كفر (الغزالي) (والشعراني) وغيرهم من علماء الأمة الاسلامية فمن بقى من المسلمين حينئذ؟؟ وقد شبه علماء السلف من يتتبع زلات وسقطات العلماء بالذباب الذي يقع على القاذورات، ويبحث عنها بالمكنسة التي تلتقط الاوساخ.